

تأليف

عدنان





الفَتْرَةُ وأَحْكامُ أَهْلِهِا

تأليف

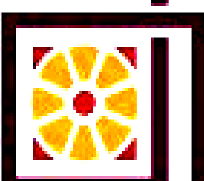
عدنان

1439 هـ | 2017 م





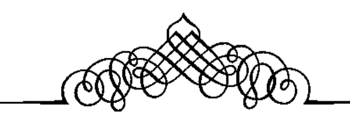












بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمدُ لله رب العالمين، والصَّلاةُ والسَّلامُ على النبيِّ الخاتم الأمين؛ **وبعد:**

فهذه ورقة مختصرة أردتُ فيها بيان أمرٍ قد أشكل على كثيرٍ من المسلمين، وكان هذا الإشكال سببًا في شطط الكثيرين، سواءً بالغلو أو بالتفريط، وإني أريد ممن يقرأ هذا الكلام ألَّا يعجل في الحكم عليه حتى يقرأه كله، وينظر في صحته، ويعرضه على النصوص، والأمر شديد وعظيم، ولست ذا باعٍ في العلم، وإنما هي كلمات أنقلها من كتب أهل العلم، والحديث هنا عن المقصود من مصطلح الفترة، وهل الفترة عذر لمن كان فيها أم لا؟

فأقول مستعينًا بالله:

أولًا: مقدمة لا بدَّ منها:

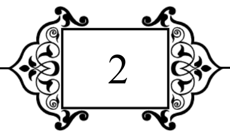
الفترة: هي حالة انقطاع الوحي عن الناس، في حديث بدء الوحي: "ثُمَّ لَمْ يَنْشَبْ وَرَقَةُ أَنْ تُوُفِّيَ وَفَتَرَ الْوَحْيُ فَتْرَةً (أي انقطع) حتَّى حَزِنَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ"[1].

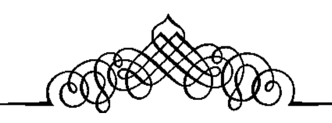
وقد قال ربُّ العالمين سبحانه: ﴿**يَاأَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَى فَتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ أَنْ تَقُولُوا مَا جَاءَنَا مِنْ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ فَقَدْ جَاءَكُمْ بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**﴾ [المائدة: 19].

فالفترة تأتي بمعنى عدم وجود الوحي، وتأتي بمعنى عدم وجود النبي أو الرسول.

وفي القرآن العظيم آيات تدل دلالة واضحة على أن كل أمة قد جاءها نذير -منها كمثال- قوله تعالى: ﴿**وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ**﴾ [فاطر: 24].

(1) أخرجه البخاري (6/ 173) برقم: 4953.





ثم هناك آيات تنفي أمر النذير عن القوم الذين بعث فيهم رسولنا الكريم ﷺ؛ قال الله -جلَّ ذِكره-: ﴿**وَمَا أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ مِنْ نَذِيرٍ**﴾ [سبأ: 44].

وهناك آيات تثبت أن كل من يدخل النار فقد جاءه نذير، قال سبحانه: ﴿**كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ**﴾ [الملك: 8] مع قوله تعالى: ﴿**لِتُنْذِرَ قَوْمًا مَا أُنْذِرَ آبَاؤُهُمْ فَهُمْ غَافِلُونَ**﴾ [يس: 6] وهذا أمر ظاهره التعارض، وقد اختلف أهل العلم في الجمع بين هذه النصوص. راجع تفاسير العلماء عند الآيات.

أقول مستعينًا بالله، النذير له في هذه الآيات معنيان:

1- إما الوحي، وآثاره الرسالة فقط.

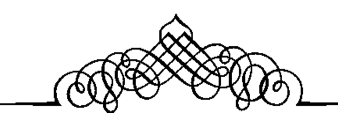
2- وإما الرسول نفسه، مضافًا له الوحي.

إذ لا رسول ولا نبي إلا ومعه وحي، لكن الوحي يبقى بعد موت الأنبياء، ويضعف حتى يكاد يندثر، هذا عمومًا، ولكن قد تكفل ربُّنا بحفظ دين الإسلام.

أما عن تسمية الرسول نذير فهذا يعلمه كل أحد، قال الله ﷻ: ﴿**إِنْ أَنْتَ إِلَّا نَذِيرٌ (23) إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ**﴾ [فاطر: 23، 24].

وأما عن كون (الوحي) نذيرًا؛ فقول الله ﷻ: ﴿**قُلْ إِنَّمَا أُنْذِرُكُمْ بِالْوَحْيِ وَلَا يَسْمَعُ الصُّمُّ الدُّعَاءَ إِذَا مَا يُنْذَرُونَ**﴾ [الأنبياء: 45]، وأضرب مثالًا للتوضيح:

القوم الذين بعث فيهم رسول الله ﷺ جاءهم نذير وهو نبينا ﷺ برسالة الإسلام، فآمن به من آمن وكفر به من كفر، (فنذيرهم كان الرسول مع الوحي).



القرون بعد النبي ﷺ من لدن التابعين حتى قبل نزول المسيح عليه السلام نذيرهم الوحي (الكتاب والسنة)، الذي تكفل ربنا بحفظهم، فلو أثبتنا لهذه القرون الإنذار كان قصدنا الوحي، وإن نفينا عنهم الإنذار فننفي رؤية الرسول ولا ننفي وجود الوحي.

وقال ربنا العظيم: ﴿**وَمَا آتَيْنَاهُمْ مِنْ كُتُبٍ يَدْرُسُونَهَا وَمَا أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ مِنْ نَذِيرٍ**﴾ [سبأ: 44]، فالحجة تقوم إما (الرسول مع الوحي)، أو بالشرائع المنزلة (كتب يدرسونها؛ أي كتب من عند الله).

فعندنا نوعان من الإنذار، فإذا وجدنا إثباتًا لإنذار في القرآن لقومٍ أو وجدنا نفيًا للإنذار عن قوم؛ فنجمع بين النصوص بما لا يرد شيئًا من هذه النصوص (كلٌّ من عند ربنا).

دعنا نتتبع الآيات على هذا الوجه الذي ذكرته في كلامي، لنرى هل استقام الفهم وزال ظاهر التعارض عندنا أم لا، سأسرد آيات من القرآن تثبت الإنذار أو تنفي الإنذار؛ فأقول مستعينًا برب العالمين:
أبدأ بذكر جانب من الآيات التي تثبت الإنذار لكل الأمم:

قال ربنا العلي العظيم: ﴿**وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ**﴾ [فاطر: 24]، وقال سبحانه: ﴿**كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ (8) قَالُوا بَلَى قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ كَبِيرٍ**﴾ [الملك: 8، 9]، وقال تعالى: ﴿**يَامَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي وَيُنْذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا شَهِدْنَا عَلَى أَنْفُسِنَا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَشَهِدُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ**﴾ [الأنعام: 130]، وقال جل وعلا: ﴿**وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنْذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا بَلَى وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ**﴾ [الزمر: 71].



فالآيات الكريمة كلها أثبتت النذير، وأهل النار كلهم أقر بالنذير، فلن يدخل النار أحد إلا ويقر بالنذير، ومعلوم أن أمتنا من بعد عهد الصحابة حتى نزول المسيح عَلَيْهِ السَّلَامُ آخر الزمان، لم يروا رسول الله ﷺ رؤية عين ولم يسمعوا منه، ولكن بقي الوحي كنذير، والوحي باقٍ حتى يرفعه الله سبحانه متى شاء ذلك.

وكذا الحال فيمن عاش من الناس في المدة الزمنية التي تكون ما بين موت نبي إلى مبعث نبي بعده.

نذكر بعضًا من الآيات التي تنفي الإنذار عن بعض الأمم:

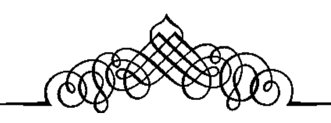
قال ربنا العظيم: ﴿**وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا وَلَكِنْ رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ لِتُنْذِرَ قَوْمًا مَا أَتَاهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِنْ قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ**﴾ [القصص: 46]، وقال سبحانه: ﴿**أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ لِتُنْذِرَ قَوْمًا مَا أَتَاهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِنْ قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ**﴾ [السجدة: 3]، وقال سبحانه: ﴿**وَمَا آتَيْنَاهُمْ مِنْ كُتُبٍ يَدْرُسُونَهَا وَمَا أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ مِنْ نَذِيرٍ**﴾ [سبأ: 44]، وقال تعالى: ﴿**لِتُنْذِرَ قَوْمًا مَا أُنْذِرَ آبَاؤُهُمْ فَهُمْ غَافِلُونَ**﴾ [يس: 6].

هذه الآيات تنفي الإنذار عن آباء القوم الذين بعث فيهم رسول الله ﷺ فإن قلنا أن النذير المنفي في الآية هو الرسول مع الوحي لم يستقم المعنى مع الآيات المثبتة، لأن كل أمة جاءها نذير، وإن قلنا أن النذير المنفي هنا هو (الرسول) استقام الأمر -هذا على الإجمال-، والله أعلم.

ثانيًا: الكلام عن الفترة:

بناءً على تقسيمنا السابق للنذير سيوجد عندنا معنيان اثنان لمصطلح الفترة:

الأول: الفترة بمعنى خلو الزمان من وجود رسول، مع بقاء الوحي بعده، أو اندثار بعض الوحي وبقاء بعضه، فالوحي يتجزأ، فقد ينسى بعضه ويبقى بعضه، وهو المعنى المقصود في قوله تعالى: ﴿**يَاأَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَى فَتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ أَنْ تَقُولُوا مَا جَاءَنَا مِنْ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ فَقَدْ جَاءَكُمْ**



بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [المائدة: 19]، فمع كونهم أهل كتاب إلا أنه سبحانه ذكر أنهم أهل فترة، وذلك لغياب الرسول واندراس بعض آثار الوحي وتحريف كتبهم، وليس لانعدام الوحي جملة.

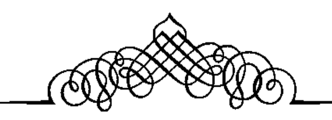
الثاني: الفترة بمعنى خلو الزمان من وجود رسول، ومن وجود الوحي أو بعض آثار الوحي، بمعنى انقطاع آثار الرسالة كليًّا، وهؤلاء يكونون أفرادًا وجماعات، قد يوجدون في أزمنة وأماكن، لم يصلهم شيء من أمر النبوة أو الوحي، وقد يوجدون في كل أمة من الأمم السابقة، وفي أمتنا أيضًا.

فعلى المعنى الأول للفترة، لا مجال للقول بالعذر (على سبيل الإجمال) لمن كان من أهل هذا الزمان، **فنقول**: أهل هذه الفترة ليسوا من أهل العذر الذين يعذرهم الله، لأن عندهم نذير (وهو ما بقي في أيديهم من الوحي، فهم مطالبون به ومأمورون بالتزامه).

قلت: لفظة (على سبيل الإجمال) لاحتمال وجود بينهم من يعذره الله يوم القيامة، لكن حكمهم الظاهر على الإجمال أنهم غير معذورين.

وعلى المعنى الثاني للفترة، فإن صاحب هذا الوصف معذور عند الله يوم القيامة ولا ريب، فهذا قد انقطع عنه معنى كلمة نذير، فمثله لو أدخل النار وسُئل، هل جاءك نذير؟ فسيقول: لا، وهو صادق في إجابته، ومثله سيحتج على الله يوم القيامة ﴿**لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ**﴾ [النساء: 165]، ووجود هؤلاء يتصور عقلًا، بل وثبت شرعًا كما جاء بذلك الحديث الصحيح.

ومن هذه حاله (المعنى الثاني للفترة) فهو المذكور في حديث الأربعة الذين يمتحنون يوم القيامة، كما في حديث الأسود بن سريع، الذي رواه بن حبان في صحيحه ورواه أحمد في المسند وغيرهما، وصححه البيهقي وابن القيم والحافظ عبد الحق وغيرهم من أهل العلم؛ أن رسول الله ﷺ: «**أَرْبَعَةٌ يَحْتَجُّونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: رَجُلٌ أَصَمُّ وَرَجُلٌ أَحْمَقُ وَرَجُلٌ هَرِمٌ وَرَجُلٌ مَاتَ فِي الْفَتْرَةِ فَأَمَّا الْأَصَمُّ فَيَقُولُ: يَا رَبِّ لَقَدْ جَاءَ الْإِسْلَامُ وَمَا أَسْمَعُ شَيْئًا، وَأَمَّا الْأَحْمَقُ فَيَقُولُ: رَبِّ قَدْ جَاءَ الْإِسْلَامُ وَالصِّبْيَانُ يحذِفُونِي بِالْبَعَرِ، وَأَمَّا الهَرِمَ فَيَقُولُ: رَبِّ لَقَدْ جَاءَ الْإِسْلَامُ وَمَا أَعْقِلُ، وَأَمَّا الَّذِي مَاتَ فِي الْفَتْرَةِ فَيَقُولُ: رَبِّ مَا أَتَانِي لَكَ رَسُولٌ**



فَيَأْخُذُ مَوَاثِيقَهُمْ لَيُطِيعُنَّه فيُرسل إِلَيْهِمْ رَسُولًا أَنِ ادْخُلُوا النَّارَ، قَالَ: فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ دخلوها كانت عليهم بردًا وسلامًا»(2)، فقد عدَّ رسول الله ﷺ أربعة يحتجون على الله يوم القيامة وذكر منهم صاحب الفترة.

لكن هنا قيد، أن أصحاب الفترة على المعنى الثاني (الذين ذكرت أنهم معذورون) لا يكونون أممًا بكاملها -بالمعنى العام لكلمة أمة-؛ بل أفرادًا وجماعات، لكن لا تشمل عصرًا بكامله، وأيضًا قد توجد في كل زمان، بحسب القرب والبعد عن نور النبوة والوحي.

وقد وردت كلمة أمة في القرآن العظيم للدلالة على عدد قليل من الناس -بل على شخص واحد-، وحتى الدلالة على كل من أرسل إليهم نبينا محمد ﷺ

– والسبب في ذكر هذا القيد هو ما جاء في كتاب رب العالمين: ﴿**إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ**﴾ [فاطر: 24]؛ فنفى رب العالمين أن تكون هناك أمة كاملة بلا نذير.

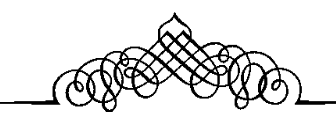
تنويه: حكم أصحاب الفترات (بنوعيهما) أنهم كفار في الدنيا، وهذا الأمر محل إجماع.

فإذا ثبت عندنا أن هناك أهل فترة يشملهم العذر، وأهل فترة لا يشملهم العذر؛ ننتقل إلى الأمر الثالث، بحول الله وقوته.

ثالثًا: القوم الذين كانوا قبل مبعث رسول الله ﷺ من أي أنواع الفترة؟ وهل يعذرون أم لا؟

قد قسمنا أصحاب الفترات إلى فريقين، أحدهما معذور والآخر غير معذور؛ فبأي الفريقين يلتحق القوم الذين كانوا قبل مبعث النبي ﷺ (مشركو العرب)؟

(2) مسند أحمد (4/ 24) برقم: 16344، وصحيح ابن حبان (16/ 356) برقم: 7357.



للجواب على السؤال، تعالوا نستعرض أحوالهم قبل البعثة، سأكتفي بذكر بعض النقول الصحيحة والثابتة، ومن أراد المزيد فليراجع كتب السير.

– في صحيح البخاري ومسلم من حديث عائشة رضي الله عنها حديث الكسوف، وفيه يقول النبي ﷺ: «**وَلَقَدْ رَأَيْتُ جَهَنَّمَ يَحْطِمُ بَعْضُهَا بَعْضًا، حِينَ رَأَيْتُمُونِي تَأَخَّرْتُ، وَرَأَيْتُ فِيهَا عَمْرَو بْنَ لُحَيٍّ وَهُوَ الَّذِي سَيَّبَ السَّوَائِبَ**»(3).

– وفي صحيح بن حبان (حديث حسن) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: «**عُرِضَتْ عَلَيَّ النَّارُ، فَرَأَيْتُ فِيهَا عَمْرَو بْنَ لُحَيِّ بْنِ قَمَعَةَ بْنِ خِنْدِفٍ يَجُرُّ قُصْبَهُ فِي النَّارِ، وَكَانَ أَوَّلَ مَنْ غَيَّرَ عَهْدَ إبراهيم، وَسَيَّبَ السَّوَائِبَ**»(4).

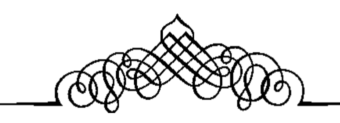
– وعند الحاكم في المستدرك من حديث أبي بن كعب عن رسول الله ﷺ، وفيه: «**وَرَأَيْتُ فِيهَا عَمْرَو بْنَ لُحَيٍّ يَجُرُّ قُصْبَهُ فِي النَّارِ، وَأَشْبَهُ مَنْ رَأَيْتُ بِهِ مَعْبَدُ بْنُ أَكْثَمَ الْخُزَاعِيُّ**» فَقَالَ مَعْبَدٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَتَخْشَى عَلَيَّ مِنْ شَبَهِهِ فَإِنَّهُ وَالِدِي؟ فَقَالَ: «**لَا أَنْتَ مُؤْمِنٌ وَهُوَ كَافِرٌ، وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ حَمَلَ الْعَرَبَ عَلَى عِبَادَةِ الْأَصْنَامِ**»، قال الحاكم: "هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحُ الْإِسْنَادِ وَلَمْ يُخْرِجَاهُ"(5)، وصححه الذهبي.

فهذا أول أمر قريش في تغيير عهد إبراهيم عليه السلام وفتنتهم بالأصنام، وقد علموا أن أمرَ عبادة الأصنام وأمرَ السائبة من أمرِ عمرو بن لحي وليست من دين إبراهيم، فقد كانوا أحفظ الناس لأنسابهم وتاريخهم وأخبار العرب وأحوالهم. راجع كلام أهل السير.

(3) صحيح البخاري (2/ 65) برقم: 1212، وصحيح مسلم (2/ 619) برقم: 901.

(4) صحيح ابن حبان (16/ 535) برقم: 7490.

(5) المستدرك (4/ 647) برقم: 8788، وأخرجه أحمد (3/ 352) برقم: 14842.



– قال رب العالمين: ﴿**إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ يُضَلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُحِلُّونَهُ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُ عَامًا لِيُوَاطِئُوا عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ فَيُحِلُّوا مَا حَرَّمَ اللَّهُ زُيِّنَ لَهُمْ سُوءُ أَعْمَالِهِمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ**﴾ [التوبة: 37].

قلت: قد كانوا يعلمون الأشهر الحرم وحرمة القتال فيها، فكانوا يقدمون ويؤخرون فيها حسب حروبهم فيجعلون صفرًا قبل المحرم، قال ربنا عنهم: ﴿**فَيُحِلُّوا مَا حَرَّمَ اللَّهُ**﴾ عالمين بذلك.

– في صحيح البخاري عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قَالَ: "إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لَمَّا قَدِمَ أَبَى أَنْ يَدْخُلَ البَيْتَ وَفِيهِ الآلِهَةُ، فَأَمَرَ بِهَا فَأُخْرِجَتْ، فَأَخْرَجُوا صُورَةَ إبراهيم، وَإِسْمَاعِيلَ فِي أَيْدِيهِمَا الأَزْلاَمُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**قَاتَلَهُمُ اللَّهُ، أَمَا وَاللَّهِ لَقَدْ عَلِمُوا أَنَّهُمَا لَمْ يَسْتَقْسِمَا بِهَا قَطُّ**»، فَدَخَلَ البَيْتَ، فَكَبَّرَ فِي نَوَاحِيهِ، وَلَمْ يُصَلِّ فِيهِ"(6).

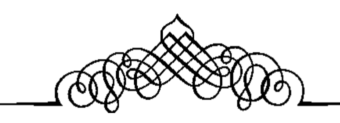
في الحديث أمران:

الأول: "فَأَخْرَجُوا صُورَةَ إبراهيم، وَإِسْمَاعِيلَ فِي أَيْدِيهِمَا الأَزْلاَمُ" فيه تعظيمهم لإبراهيم وإسماعيل، ونسبوا للخليل الاستسقام بالأزلام، ليضلوا بها الناس.

الثاني: قول النبي ﷺ: "والله لقد علموا أنهما لم يستقسما بها قط"، فأقسم على علم قريش أن الاستقسام بالأزلام ليس في ملة إبراهيم الخليل، وإنما من ضلالات قريش وكذبهم.

ما كان منهم من تعظيم لمكة وللكعبة وعلمهم أنها بلد الله الحرام، فكانوا يخدمون الحجيج ويتقاتلون على السقاية وعمارة المسجد، بل وعلمهم بمناسك الحج والعمرة على الوجه الصحيح، ولما اعتمر رسول الله ﷺ بعد الحديبية لم ينكروا عليه شيئًا في مناسكه.

(6) صحيح البخاري (2/ 150) برقم: 1601.



– في صحيح البخاري عن جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ قَالَ: أَضْلَلْتُ بَعِيرًا لِي، فَذَهَبْتُ أَطْلُبُهُ يَوْمَ عَرَفَةَ، فَرَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ وَاقِفًا بِعَرَفَةَ، فَقُلْتُ: "هَذَا وَاللَّهِ مِنَ الحُمْسِ فَمَا شَأْنُهُ هَا هُنَا"(7).

وهذا النقل يشرح معنى الحديث، قال ابن إسحاق: "وَقَدْ كَانَتْ قُرَيْشٌ -لَا أَدْرِي أَقَبْلَ الْفِيلِ أَمْ بَعْدَهُ- ابْتَدَعَتْ رَأْيَ الْحُمْس رَأْيًا رَأَوْهُ وَأَدَارُوهُ فَقَالُوا: نَحْنُ بَنُو إبراهيم، وَأَهْلُ الحُرمة، ووُلاة الْبَيْتِ، وقُطَّان مَكَّة وساكنُها، فَلَيْسَ لِأَحَدٍ مِنْ الْعَرَبِ مثلُ حقِّنا، وَلَا مثلُ مَنْزِلَتِنا، وَلَا تعرفُ لَهُ الْعَرَبُ مثلَ مَا تعرِفُ لَنَا، فَلَا تعظِّموا شَيْئًا مِنْ الحِلِّ كَمَا تُعظمون الحرمَ، فَإِنَّكُمْ إنْ فَعَلْتُمْ ذَلِكَ استخفَّت العربُ بحُرمتِكم، وَقَالُوا: قَدْ عَظَّمُوا مِنْ الْحِلِّ مِثْلَ مَا عَظَّمُوا مِنْ الْحَرَمِ، فَتَرَكُوا الْوُقُوفَ عَلَى عَرَفَةَ، وَالْإِفَاضَةَ مِنْهَا، وَهُمْ يَعْرِفُونَ وَيُقِرُّونَ أَنَّهَا مِنْ الْمَشَاعِرِ وَالْحَجِّ وَدِينِ إبراهيم -ﷺ- ويَرَوْن لسائر العرب أن يُفِيضُوا مِنْهَا، إلَّا أَنَّهُمْ قَالُوا: نَحْنُ أهلُ الْحَرَمِ فَلَيْسَ يَنْبَغِي لَنَا أَنْ نخرجَ مِنْ الْحُرْمَةِ، وَلَا نُعَظِّمُ غيرَها، كَمَا نُعَظِّمُهَا نَحْنُ الحُمْس، وَالْحُمْسُ: أَهْلُ الْحَرَمِ، ثُمَّ جَعَلُوا لِمِنْ وُلِدُوا مِنْ الْعَرَبِ مِنْ سَاكِنِ الْحِلِّ وَالْحَرَمِ مِثْلَ الَّذِي لَهُمْ، بِوِلَادَتِهِمْ إيَّاهُمْ، يَحِلُّ لَهُمْ مَا يَحِلُّ لَهُمْ، ويَحرُم عَلَيْهِمْ مَا يَحرُم عليهم"(8).

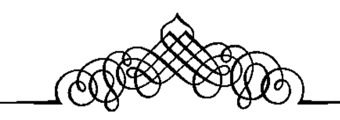
قلت: فانظر إلى القوم، كيف أنهم يصفون حالهم، ويعلمون مناسك الحج في ملة إبراهيم الخليل، وانظر كيف بدلوا دين الله بأهوائهم، وأحلوا لأنفسهم ما لم يأذن به الله، عالمين بذلك!

قلت: وفيه حج النبي ﷺ قبل البعثة ووقوفه بعرفة، كما هو دين إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ.

– قال ابن هشام في السيرة في معرض الحديث عن قصة بناء الكعبة بعد مولد النبي ﷺ: "فَلَمَّا أَجْمَعُوا أمرَهم فِي هَدْمِهَا وَبِنَائِهَا، قَامَ أَبُو وَهْبٍ فَتَنَاوَلَ مِنْ الْكَعْبَةَ حَجَرًا فَتَنَاوَلَ مِنْ الْكَعْبَةَ حَجَرًا، فَوَثَبَ مِنْ يَدِهِ،

(7) صحيح البخاري (2/ 162) برقم: 1664.

(8) سيرة ابن هشام (1/ 198).



حَتَّى رَجَعَ إِلَى مَوْضِعِهِ، فَقَالَ: يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ، لَا تُدْخِلُوا فِي بِنَائِهَا مِنْ كَسْبِكم إِلَّا طَيِّبًا، لَا يَدْخُلُ فِيهَا مَهر بَغِي، ولا بيع ربا، ولا مظلمة أحد من النَّاسِ، وقيل القائل هو الوليد بن المغيرة"[9].

قلت: قد كان ذلك بعد مولد النبي ﷺ، فانظر كيف أنهم يعرفون الكسب الطيب من الكسب الخبيث، ويشترطون طيب الكسب لبناء بيت الله الحرام، بل ويعلمون حرمة الرِّبا، وحرمة مهر البغي.

ولهذه القصة ما يثبت صحتها في السنة النبوية، ففي البخاري عن عائشة رضي الله عنها قالت: "سَأَلْتُ النَّبِيَّ ﷺ عَنْ الجَدْرِ أَمِنَ البَيْتِ هُوَ؟ قَالَ: «**نَعَمْ**» قُلْتُ: فَمَا لَهُمْ لَمْ يُدْخِلُوهُ فِي البَيْتِ؟ قَالَ: «**إِنَّ قَوْمَكِ قَصَّرَتْ بِهِمُ النَّفَقَةُ**»"[10]، قلت: قصرت بهم النفقة من الكسب الطيب الذي اشترطوه في بنائها، والجدر هو ما يسمى بالحجر، المكان المسوَّر جانب الكعبة حتى زماننا هذا.

– في صحيح البخاري: "أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ لَقِيَ زَيْدَ بْنَ عَمْرِو بْنِ نُفَيْلٍ بِأَسْفَلِ بَلْدَحٍ، قَبْلَ أَنْ يَنْزِلَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ الوَحْيُ، فَقُدِّمَتْ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ سُفْرَةٌ، فَأَبَى أَنْ يَأْكُلَ مِنْهَا، ثُمَّ قَالَ زَيْدٌ: إِنِّي لَسْتُ آكُلُ مِمَّا تَذْبَحُونَ عَلَى أَنْصَابِكُمْ، وَلاَ آكُلُ إِلَّا مَا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ، وَأَنَّ زَيْدَ بْنَ عَمْرٍو كَانَ يَعِيبُ عَلَى قُرَيْشٍ ذَبَائِحَهُمْ، وَيَقُولُ: الشَّاةُ خَلَقَهَا اللَّهُ، وَأَنْزَلَ لَهَا مِنَ السَّمَاءِ المَاءَ، وَأَنْبَتَ لَهَا مِنَ الأَرْضِ، ثُمَّ تَذْبَحُونَهَا عَلَى غَيْرِ اسْمِ اللَّهِ، إِنْكَارًا لِذَلِكَ وَإِعْظَامًا لَهُ"[11].

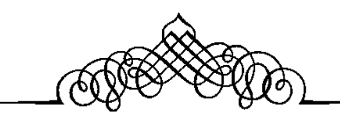
قلت: وهذا مما بلغ زيد بن عمرو رضي الله عنه من ملة إبراهيم عليه السلام.

– وفي صحيح البخاري أيضًا عَنْ أَسْمَاءَ بِنْتِ أَبِي بَكْرٍ رضي الله عنهما، قَالَتْ: "رَأَيْتُ زَيْدَ بْنَ عَمْرِو بْنِ نُفَيْلٍ قَائِمًا مُسْنِدًا ظَهْرَهُ إِلَى الكَعْبَةِ يَقُولُ: يَا مَعَاشِرَ قُرَيْشٍ، وَاللَّهِ مَا مِنْكُمْ عَلَى دِينِ إبراهيم غَيْرِي، وَكَانَ يُحْيِي

(9) سيرة ابن هشام (1/ 194).

(10) صحيح البخاري (2/ 146) برقم: 1584.

(11) صحيح البخاري (5/ 40) برقم: 3826.



المؤءُودَةَ، يَقُولُ لِلرَّجُلِ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَقْتُلَ ابْنَتَهُ، لاَ تَقْتُلْهَا، أَنَا أَكْفِيكَهَا مَئُونَتَهَا، فَيَأْخُذُهَا فَإِذَا تَرَعْرَعَتْ قَالَ لِأَبِيهَا: إِنْ شِئْتَ دَفَعْتُهَا إِلَيْكَ، وَإِنْ شِئْتَ كَفَيْتُكَ مَئُونَتَهَا"[12].

قلت: وهذا زيد بن عمرو يحدثهم عن ملة إبراهيم ﷺ وينفي أن يكون أحد منهم عليها غيره، وهذا واضح في أن ما يفعلونه من الشرك والضلال ليس من ملة إبراهيم التي يعرفها ويعرفونها هم أيضًا، فكلامه لهم يصير عبثًا ونوع جنون لو أنهم لا يدرون عن ملة إبراهيم شيئًا.

تنويه: رسول الله ﷺ كان حيًّا ومتزوجًا وقت هذه الحادثة، ولم يكن قد بعث، ومعلوم أنه كان على ملة إبراهيم ﷺ، وكذا زوجه خديجة، وبناته، وزيد بن حارثة ﷺ.

قلت: هذا ظاهر حالهم من معرفة بعض تفاصيل العبادات وبعض تفاصيل الحلال والحرام، ذكرتها هنا، وغيرها موجود في كتب السنة والسير؛ يدل بوضوح على أن الناس كان عندهم الكثير من ملة إبراهيم الخليل ﷺ، وأيضًا لا شك أنه قد اندرس ونُسي الكثير من ملة إبراهيم ﷺ مع مرور الوقت وتباعد الأزمان، فيكون ما بلغهم حجة عليهم وما نسي وغاب عنهم معذورون فيه.

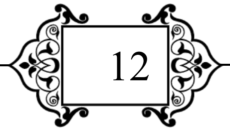
قلت: إذا كان هذا حالهم، فالغالب أنه لا يخفى عليهم أصل الدين (الإسلام العام)، (لا إله إلا الله)، (ملة إبراهيم)، التي هي اجتناب عبادة الأوثان والعبادة لله رب العالمين وحده، وهي حال النبي ﷺ قبل البعثة كما هو معلوم، وحال زيد بن عمرو ﷺ.

- فأقول والله أعلم من حيث الجملة، هم من النوع الأول من الفترة الذي لا يعذر.

رابعًا: بم يفيد هذا البحث:

1- رفع الالتباس الناشئ عن عدم معرفة أقسام الفترة، وأيها عذر وأيها ليس عذرًا.

(12) صحيح البخاري (5/ 41) برقم: 3828.





2- محاولة الجمع بين كل النصوص الواردة في الباب، من نصوص القرآن وصحيح السنة النبوية.

3- توجيه الأحاديث التي جاءت في دخول أناس من أهل الجاهلية النار، كحال عبد الله والد رسول الله ﷺ وكحال ابن جدعان وغيرهم.

4- فهم الأحاديث التي أثبتت اختبارًا لأهل الفترة.

5- رفع الخلط الذي ظهر عند البعض فلم يجمع النصوص، فألجأه قوله بأن الميثاق حجة كافية على العباد للخلود في النار، فوقع في رد النصوص البينات التي تنص على أن العذاب مرتبط بالبلاغ من الرسل، وأن للعبد أن يحتج على ربه إذا لم يأته نذير.

6- معرفة لماذا وصف الله -تبارك وتعالى- العرب بالشرك قبل مبعث النبي ﷺ ولم يعذرهم، فلم يكن جهلهم ناشئًا عن عدم العلم، ولا أحد أحب إليه العذر من الله ﷻ.

7- هدم مذهب منكري الفترات، الذين لم يجمعوا نصوص الكتاب والسنة، فوقعوا في التناقض وردوا بعض النصوص الصريحة.

كَتَبَه:

عدنان

الاثنين 19 شعبان 1438 هـ – 15 مايو 2017 م

❊ ❊ ❊